حدق الحارسان في بعضهما طويلا ، كان كلاهما جالسا في كوة المخفر الخشبي ، فوق اكياس الرمل ، مدليا ساقيه ، واضعا مدفعه الرشاش على فخذيه . كانت الشمس تتألق في السماء ، وظلال الاشياء صارت عمودية تحتها تماما . واخذت اشعتها تلهب قدمي الحارسين ، مخترقة طبقة من الرمال الدقيقة على حذاءيهما ، ففرقت اقدامهما في العرق . والتفت الحارس الجنوبي داخل مخفره ، واخذ يعد الالواح الخشبية في الجدران والسقف .

ومن ناحية الشرق ، اقبلت سيارة جيب ، وراحت تعبر التلال الجيرية ، والصخور الحجرية ، والرمال الصفراء . كانت تعلو مرة وتنخفض اخرى ، محاذية الاسلاك الشائكة ، في طريقها الى المخفر الجنوبي . ومن ناحية الغرب ، اقبلت سيارة جيب اخرى ، واخذت ترقى تلا بازلتيا واطئا ، ثم انحدرت من قمته وراحت تمرق باتزان على رمال حمراء ، تتناثر فوقها الحشائش والاشواك ، وعند المخفرين وقفت العربتان واستدار كل من الحارسين : طوح ساقيه فوق اكياس الرمل ، وعبر ارض المخفر ، وهبط درجتين خشبيتين ، ومدفعه الرشاش في قبضته اليمنى . وقال الحارس الجنوبي لسائق العربة :

ـ كيف الحال . هل وصلك خطاب من زوجتك ؟

فقال السائق :

ـ لم يصلني بعد . لا بد ان كل شيء هناك يسير على ما يرام .

وقال الحارس الشمالي لسائق العربة :

ـ مرحبا بك . هل مررت على بيتنا في القرية ؟

فقال السائق :

ـ نعم . وهذه ملابسك النظيفة . وعلى فكرة . اختك تسلم عليك . خذ . اتعرف ان اختك جميلة حقا ؟

ـ ها . اتريد ان تتزوجها ؟

ـ لا . يا ليت . سأتزوج ابنة عمي .

ومد الحارس الشمالي يده ، وتناول ربطة ملابسه من السائق ، وقذف بها داخل المخفر . وقال الحارس الجنوبي للجندي المرافق للسائق :

ـ اسرع . كدت اموت من الجوع .

فقال الجندي :

ـ اه . هكذا ! بسرعة !

ونظر الجندي عبر التلال متضاحكا . ورمشت عيناه من حدة الضوء . وافرغ حساء العدس في وعاء الحارس ، وناوله رغيفا واحدا . ومرقت العربة على الرمال صوب الغرب . وقال الحارس الشمالي للجندي الذي يرافق السائق :

ـ جئت اليوم مبكرا ، ولم اشعر بالجوع بعد .

فقال الجندي :

ـ انك لاتجوع ابدا . ومع ذلك ، ها انت لاتتمنع على طعام .

ونظر الجندي الى اللفافة الملقاة على ارض المخفر متضاحكا . وافرغ حساء الارز في وعاء الحارس ، واعطاه رغيفا واحدا . وانزلقت

* من المجموعة القصصية « عطشان يا صبايا » للمؤلف .

حاشيـــة

لاننا نقتات بالاشعار
في عالم التروس والاقمار
أحببت فيك نهرنا الوديع
وحقلنا الذي يصفر في الربيع
لان قرننا العشرين يلعق العشاق
جراحهم فيه ، تذوي نجوم الحب للمحاق
يصير كل ما يقال
أسفنجة مصفرة على الرمال
اسطورة من الهوى مريضة الاشواق !
أقسمت ان أصد جحفل التيار
وان اعيش ما يؤرق النهار
لتنبت الضياء في دجى الاحداق
اشعارنا وتغرس الصبا و « الزهور »
في عصرنا المزيف العطور ،
ألا أكون قطرة .. فقاعة تذوب
وربما تشل ريشتي .. لكنها تحيا على اللهيب

القاهرة

جيلي عبد الرحمن

العربة في الوادي صوب الشرق .

وعند كوة المخفر اسند الحارس الجنوبي مدفعه على جانب الكوة . ولكن الحارس الشمالي كفأ مدفعه على اكياس الرمل . ووضع كل من الحارسين وعاءه ورغيفه بجوار المدفع . وقفزا فوق اكياس الرمل ، ودليا احدى ساقيهما خارج الكوة . وراحا يأكلان طعامهما متقابلين . وبين اللقمة واللقمة ، كان كل منهما يعاود النظر الى الاخر ، وهو يشرب جرعة من الماء .

كان الحارسان قد فرغا من طعامهما ، فعقد الحارس الجنوبي ساعديه على صدره ، وشبك الحارس الشمالي يديه اسفل بطنه ، واسند كل منهما رأسه الى جدار الكوة المواجه للمدفع . ثم ناما متقابلين .

*

صحا الحارس الشمالي من غفوته . كانت الشمس تلهب ساقه خارج الكوة ، فثناها بجواره على اكياس الرمل . واخذ يثني اصابع يديه ويفردها . ونظر الى الشمس جهة الغرب . فبهره قرصها الفضي . وعاد ينظر الى الحارس الجنوبي . كان ما يزال نائما ، ويداه معقودتان على صدره ، بينما راحت الشمس تزحف على فخذه . وصاح الحارس الشمالي باعلى صوته :

ـ اي ••• اي •••

انتفض الحارس الجنوبي ، ناظرا صوب الشمال ، بينما اسرعت يمناه تقبض على المدفع الصغير • وضحك الحارس الشمالي عاليا • وقال وهو يضحك :

ـ اي • الشمس ستشوي رجلك •

اعاد الحارس الجنوبي مدفعه الى مكانه ، وهز رأسه وسحب ساقه ، وهبط من الكوة • ورآه الحارس الشمالي يتناول زمزميته من حبل يتدلى من سقف الكوخ ، ويشرب ، فغادر الكوة بدوره . ثم اخذا مدفعيهما ، وانطفا خارج المخفرين ناحية الظل .

جلس الحارس الشمالي عند الزاوية الجنوبية مستندا الى الجدار . ووقف الحارس الجنوبي عند الحد الامامي الفاصل بين الظل والضوء . وراح كل منهما يحدق في بلاد الاخر :

في الجنوب ، كان هناك جبل مخروطي اجرد ، يرتفع عاليا ، قد غرست في قمته راية ، وكانت تلال جيرية وصخور حجرية ورمال صفراء ، وكان جبل من الحجر الوردي ، بدت في نواح كثيرة منه ، فجوات تسطع حمرتها الخلابة تحت الشمس . وفي الشمال ، كان هناك تل بازلتي واطىء ناحية الغرب ، وارض حمراء مترامية تكسوها الحشائش والاشواك ، وكانت هضبة عالية تتناثر في نواحيها اشجار عديدة ، وينبعث من ناحيتها صوت لا يتوقف .

وهبت رياح شمالية رطبة . فراح الحارس الجنوبي يتمشى خارج منطقة الظل بجوار الاسلاك الشائكة. بينما راح الحارس الشمالي يرقبه في صمت . وتوقف الحارس الجنوبي ، ومد اصابعه في جيبه ، واخرج علبة سجائره . وحين رفع عينيه عن العود المشتعل ، لمح الحارس الشمالي يحدق فيه ، فهتف الحارس الجنوبي صائحا :

ـ ايه . اتريد سيجارة ؟

وقف الحارس الشمالي مبتهجا . واتجه نحو الاسلاك قائلا :

ـ لا . شكرا . اعطني علبة الكبريت فقط .

واخرج الحارس الشمالي علبة سجائره . ولكن الحارس الجنوبي صاح به :

ـ لا . دعها مكانها . خذ . هذه سيجارة مشتعلة .

وطوح الحارس الجنوبي يده عاليا ، فوق الاسلاك ، فسقطت السيجارة بين يدي الحارس الشمالي . وطوح بيده مرة ثانية ، قائلا :

ـ وهذه علبة كبريت . خذها لك . معي فائض منه .

وصاح الحارس الشمالي قائلا :

ـ اسمع . خذ سيجارة مني . ها هي .

واشعل حارس الجنوب السيجارة الشمالية ، وجذب منها نفسا . وداس سيجارته الاولى بقدمه ، وقال برضى :

ـ اتعرف ان سجائركم امتع من سجائرنا ؟

فقال الحارس الشمالي :

ـ لا . سجائركم افضل مذاقا .

وضحك الحارسان . كانا متواجهين بجوار الاسلاك . وقال الحارس الشمالي :

ـ ما اسم هذا الجبل ؟

ـ اين ؟

ـ هذا ؟.. الاحمر ؟

واشار الحارس الشمالي بيده . فقال الحارس الجنوبي :

ـ آه . هذا . هو كما قلت . اسمه الجبل الاحمر .

ـ هيه . انه جبل عظيم . هل تأخذون منه احجارا ؟

ـ نعم . ان احجاره غالية جدا .

ـ ماذا تفعلون بها ؟

ـ نبني منها بيوتنا .

ـ ايه ..؟ تبنون بيوتكم من هذه الاحجار الوردية ، كل بيوتكم ؟

مجموعة قصص اجتماعية

قصص من صميم مجتمعنا العربي

صدر منها	ق.ل
١ ـ الصبي الاعرج بقلم : توفيق يوسف عواد	٢٥٠
٢ ـ قميص الصوف بقلم : توفيق يوسف عواد	٢٠٠
٣ ـ الرغيف بقلم : توفيق يوسف عواد	٤٠٠
٤ ـ دمعة صلاح الدين بقلم خليل الهنداوي	١٧٥

مؤلفات جبران خليل جبران

صدر منها	
١ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية	١١٠٠
٢ ـ الارواح المتمردة	١٥٠
٣ ـ الاجنحة المتكسرة	١٢٥
٤ ـ دمعة وابتسامة	٢٠٠
٥ ـ العواصف	٢٠٠
٦ ـ البدائع والطرائف	٢٠٠

الناشر : دار بيروت ـ دار صادر

ـ لا . الاغنياء فقط يبنون بيوتهم منها .

ـ هيه . أغنياؤنا يبنون بيوتهم من الحجر الابيض ، او الطوب الاحمر .

ـ ماذا قلت ؟... الطوب الاحمر ؟

ـ نعم . الطوب الاحمر . ألا تعرفه ؟

ـ انا ؟.. لا ..

ـ لو جئت الى بلادنا لاريتك اياه .

ـ ربما آتي بعد ان اغادر الجيش . أتعرف ان فقراءنا يبنون بيوتهم من الحجر الابيض ؟

ـ صحيح ؟.. لا بد انه رخيص عندكم .

ـ جدا . كل الجبال عندنا احجارها بيضاء .

وسكت الحارس الجنوبي ، واستند بكتفه الى كتلة ضخمة بازلتية ناتئة . وقال :

ـ هل هناك مياه قريبة من هنا ؟

ـ أترى هذه الهضبة ؟.. هناك نبع ماء في الجانب الاخر منها .

ـ ولكن صوت المياه عال جدا .

ـ انه شلال . يتدفق من النبع أعلى الهضبة ، ليلا ونهارا .

ـ ليس في بلادنا شلال واحد . سأقول لك حقيقة . ارضكم بديعة جدا . هل كلها هكذا ، مياه واشجار ؟

ـ كلها . عندنا نهر ايضا ، يأتي من اقصى الشمال . اسمع . هل تريد ان تعرف اسرارا لحكومتك عن بلادي ؟

ـ اه . اسرار ؟.. لا تهمني الاسرار . ربما يهم ذلك حكومتي . ولكن انا ، لا شأن لي بها . قالوا لي : تعال الى الجيش ، فجئت . وقالوا لي : قف هنا ، فوقفت .

وهز الحارس الجنوبي كتفيه ، ومط شفتيه . فقال الحارس الشمالي :

ـ هكذا قالوا لي انا الاخر . لو لم تفعل ، لقبضوا عليك ، وسجنوك . واجبروك في النهاية على ان تكون حارسا . انا ايضا لا تهمني اسرار بلادك .

ـ وددت طول عمري ، ان اعيش في بلاد بها مياه واشجار .

ـ ياه . انا مللت الحياة بين المياه والاشجار . انني احب حياة الجبال ، وخاصة هذا الجبل الاحمر .

وصمت الحارسان ، وراحا يفكران . وقال الحارس الشمالي :

ـ اتعرف انني كنت اراقبك منذ يومين .

ـ وانا ايضا كنت اراقبك ، منذ جئت انا الى هنا .

ـ اعرف ذلك ايضا . قل لي : هل كان دمي يبدو ثقيلا عليك ؟

ـ لا . لم افكر في ذلك . هل فكرت انت في هذا بالنسبة لي ؟

ـ انا . لا . لم افكر فيه .

ـ كنت اضحك فقط .

ـ علي ؟

ـ لا . على هذا الذي على رأسك . اسمه .. ما اسمه ؟

ـ بيريه .

ـ آه . بيريه. سمعت ذلك. لكن لماذا يوضع البيريه على الرأس ؟

ـ هكذا قال جيشنا . طيب . لماذا تلبس هذه اللبدة المزركشة ؟

ـ كل جيشنا يفعل ذلك .

ـ لكن ما الفرق بينك وبين المدنيين ؟.. الزي العسكري فقط ؟

ـ لا اعرف . هل تأخذ سيجارة ؟

ـ لا . لا ادخن كثيرا .

واشعل الحارس الجنوبي سيجارة . وحدق كل من الحارسين في المدفع الرشاش المدلى خلف كتف الاخر . وقال الحارس الشمالي:

ـ يبدو لي انك جديد في حراسة الحدود .

ـ لماذا ؟

ـ لانني قمت بالحراسة في مائة مخفر ، على طول حدودنا . ولم اجد حارسا واحدا منكم يبادلني كلمة ، الا انت .

وراح الحارس الشمالي يضحك ، فقال الحارس الجنوبي :

ـ لماذا تضحك ؟.. لانني حادثتك ؟

ـ لا لا . انني اضحك على حارس منكم . عرضت عليه سيجارة فصوب رشاشه نحو صدري .

ـ ياه . كدت افعل ذلك عندما أيقظتني من النوم .

ـ ولكن الامر مختلف ، الان على الاقل . أليس كذلك ؟

ـ انا جديد هنا . وهذه اول مرة اقوم فيها بالحراسة وحدي منذ يومين فقط .

ـ طيب . ألا تعرف ان العلاقات مقطوعة بين بلدينا ؟

ـ أعرف . منذ عام وهي مقطوعة . وقد اوصاني ضابطي ألا اتبادل كلمة مع حارس منكم .

ـ قال لي ذلك ضابطي . قال مشددا : ممنوع على حرس الحدود الاتصال بالعدو ، او تبادل السجائر معه .

ـ لكن الوحدة تقتل الانسان هنا !

ـ أفهم ما تعنيه . لقد جربتها ، هذه الوحدة اللعينة ، وجربتها عشرة شهور .

ـ تصور . ان تجلس هكذا دائما ، طوال النهار . لا عمل لك سوى ان تجلس في مخفر ترقب الشمس والظل ، وتعد ألواح المخفر الخشبية ، ولا تقع عيناك الا على اشياء لا تتحرك ابدا . تجلس دون كلمة ، ولا تجرؤ على ان تبتعد كثيرا عن مخفرك .

ـ انا أحس بما تعانيه . جربته عندما كنت جديدا مثلك . ثم اعتدته ، وانتهى الامر . لكنك لم تجرب بعد حراسة الليل .. في النهار ، تبصر شيئا ، وتسمع . لكن في الليل ، تصبح عيناك لا قيمة لهما ، الا عندما يسطع القمر .

ـ هس . أتسمع ؟

وانصت الحارسان . وفي لحظة واحدة : التفت الحارس الجنوبي جهة الشرق ، والحارس الشمالي جهة الغرب . وقال الحارس الشمالي :

ـ سيارتنا قادمة .

ـ وسيارتنا قادمة .

ـ اذهب الى مخفرك ، والا قدموك الى المحاكمة .

ـ طيب هل ستأتي غدا ؟

ـ امامي يوما حراسة في هذا المخفر .

ـ انا بقي لي خمسة ايام .

واجتاز كل من الحارسين الارض الفراغ بين الاسلاك والمخفر . كانت ظلال الجبال والصخور قد اصبحت طويلة جدا وملتحمة . وأطلا على بعضهما من كوتي المخفرين . وراحا يبتسمان لبعضهما . وبرقبان : أسراب النحل البري ، وهي تلتف حول بعضها عائدة الى

اعشاشها ، وطيورا مفترسة تحلق عاليا في الطريق الى اوكارها المنيعة، وأسراب العصافير والحمام ، ترفرف بأجنحتها الصغيرة ، فيطريقها الى اعشاشها البعيدة . ومرق كلب اسود من بين الاسلاك ، واختفى وراء التل البازلتي الاسود . وفي الاعالي ، تناثرت سحب صيفية خفيفة ، تحت السماء الرمادية ، تدفعها رياح الشمال ، وغابتبالوانها الشفقية وراء الجبل الاحمر . ومن باب المخفر الشمالي ، هبت رياح بحرية لطيفة ، وعبرت كوة المخفر ، والاسلاك الشائكة ، على طول الحدود شرقا وغربا ، ومرت من كوة المخفر الجنوبي ، وبابه . وامام بابي المخفرين ، وقفت العربتان واحدة بعد اخرى ، ودوى بوقهما عاليا . وهز كل من الحارسين رأسه للاخر ، وادارا ظهريهما . وعند باب المخفر ، حيا كل من الحارسين بديله الليلي ، ونظر من مكانه في العربة جهة بلاد الاخر . كانت الشمس قد غابت وراء التل البازلتي. والليل يزحف من كل ناحية . وفكر الحارس الشمالي ، ان هناك ليلا واحدا ، يغمر الشمال والجنوب ، والشرق والغرب .

*

حيا حارسا النهار بعضهما . وغابت السيارتان واحدة وراء هضبة النبع ، والاخرى وراء الجبل الاحمر . وصاح الحارسالجنوبي من كوة مخفره :

ـ ها . تعال نتحدث معا .

فجاوبه الحارس الشمالي من الكوة المقابلة :

ـ طيب . انزل . قابلني .

وعند اسلاك الحدود ، قال الحارس الشمالي :

ـ صباح الخير .

فقال الحارس الجنوبي ، وهو يتكيء بكتفه اليسرىعلىالصخرة :

ـ صباح الخير . كيف حالك اليوم ؟

ـ على ما يرام . كيف حالك انت ؟

ـ بخير .

وتصاحكا . وراحا يرقبان الشمس .. وهي تشق الافق الشرقي، عبر الاسلاك ، والحداة والصخور ، وهي تحلق عاليا . لكن الحارس عبر الاسلاك ، والحداة والصخور ، وهي تحلق عاليا . لكن الحارس راح يضحك بكل قواه . فصاح الحارس الجنوبي محتجا :

ـ لماذا تضحك ؟

فقال الحارس الشمالي وهو يغالب الضحك :

ـ لا شيء . فكرة خطرت لي .

ـ قلها لي .

ـ لا . ستتهمني بالجنون !

ـ انا . ألسنا صديقين ؟.. ما هي الفكرة ؟

فقال الحارس الشمالي :

ـ هل يمكن ان تحجبوا الشمس عنا بهذه الاسلاك ، فيصبح عندنا ليل وعندكم نهار ؟

فهتف الحارس الجنوبي ، متظاهرا بالجد :

ـ ياه . لا بد ان نبني سورا على طول الحدود ليرتفع عاليا حتى يغوص في السماء .

لم يستطع الحارس الشمالي ان يتوقف عن الضحك ، فوضع كفه على القائم الخشبي واسند جبهته على ظهر يده ، وامسك بطنه بيسراه . وراح الحارس الجنوبي يرقبه لحظة ، ثم اغرق فيالضحك، حتى دمعت عيناه . وقال الحارس الشمالي :

ـ طيب . انتم . هل تستطيعون منع عصافيرنا وحمامنا من النزهة في جبالكم عند العصر ؟

جمدت أسارير الحارس الجنوبي . وبانت عيناه كعيني دجاجة ، تقف على ساق واحدة . وقال :

ـ لا . انتظر . يمكن ان نصيدها . طيب . انتم . هلتستطيعون ان تمنعوا أسراب النحل والصقور من غزو بلادكم ؟

ـ لا . حتى الرصاص لا يكفي . ولا يكفي ايضا لصيد العصافير والحمام . لكنك لو حاولت انت ، او اي واحد من بلادكم ، ان تعبر هذه الاسلاك ، فسوف نقتله ، او نودعه السجن .

فقال الحارس الجنوبي متسائلا :

ـ لكن انت . لو عبرت انا هذه الحدود . هل تقتلني ؟

ـ انا . ألسنا صديقين ؟! هل اقتل صديقا ؟.. لكن غيري سيقتلك لو فعلت .

ـ طيب . لو لم اكن صديقك . وعبرت انا هذه الاسلاك ، لارى شلال النبع مثلا . ورأيتني انت ، انت بالذات . هل تقتلني ؟

ـ ياه . لا اعرف . لكن . لماذا تفكر في ذلك ؟.. ربما فعلت ذلك . لا اعرف . انك تحيرني .

ـ طيب ، دعك من هذا . اسمع . ماذا لو عبرنا الاسلاك وجلسنا معا . تصور : حراس حدود دولتين يخرقان قوانين الحدود ، ويتحادثان مع بعضهما ، ويأكلان . تصور ذلك .

ـ ياه . ولو وجدونا معا ، ماذا سيفعلون بنا ؟.. اتريد ان نحاكم بتهمة الخيانة العظمى ؟

فصاح الحارس الجنوبي : ايه . خيانة عظمى ؟

كانت ظلال الحارسين والصخرة والاسلاك تتمدد جهة الغرب . ومرق الكلب الاسود من بين الاسلاك ، وتبعته اعين الحارسين وهو يتلوى بين الصخور في الجنوب . وقال الحارس الجنوبي :

ـ تصور ان هذا الكلب يعرف من بلادنا اكثر مما اعرف انا من بلادكم .

وهز الحارس الشمالي رأسه موافقا . وراح الحارسان ينظران الى بعضهما : كان الحارس الجنوبي فارع الطول ، ذا وجه مستطيل حاد الملامح ، وبشرة سمراء لوحتها شمس الجبال ، وعينين واسعتين حادتين كعيني الصقر . اما الحارس الشمالي ، فسمين ذو قامة متوسطة ، ووجه مستدير ، وبشرة بيضاء ، وعينان ضيقتان كخرزتين. وقال الحارس الجنوبي :

ـ أتعرف ؟.. لم اكن اتصور ان لكم عيونا وآذانا مثلنا ، حتى وقفت هنا للحراسة اول مرة ...

فصاح الحارس الشمالي بدهشة :

ـ ماذا تقول ؟ أكنت تحسبنا حيوانات نسير على اربع ؟

ـ لا . كنت افكر انكم مثلنا . انا اعرف اننا جميعا ابناء ادم وحواء . كنت ادرك ان لكم مثلنا عيونا واذانا ، وتسيرون علىقدمين. لكن . لم أكن أتصور الامر هكذا . لا ادري كيف اوضح لك .

واضاف الحارس الجنوبي :

ـ أكنت تعرف انت ؟

فقال الحارس الشمالي :

ـ نعم كنت اعرف ذلك . انا اقرأ الجرائد احيانا . وقبل ان

ادخل الجيش ، رأيت صورة لرئيس وزرائكم ، وهو يخطب ضدنا .

واضاف الحارس الشمالي :

ـ ألا تقرأ الجرائد ؟

فقال الحارس الجنوبي :

ـ أنا . لا . لم أر الجرائد التي تتحدث عنها . لكنني سمعت عن شيء كهذا . كنت اعيش في الجبل . حتى جاءوا وقالوا لي : انت مطلوب في الجيش .

ـ انت سيىء الحظ . الجرائد فيها اشياء كثيرة مفيدة ، احيانا.

كانت الشمس تقترب من الزوال . وراحت الظلال تتراجع صوب مصادرها .. وبدأت حرارة الرمال والصخور تعكس وهجا ألاقا نحو السماء الرمادية . واخذت حبات العرق تتحدر على وجه الحارس الشمالي وعنقه . وقال الحارس الجنوبي :

ـ الشمس اصبحت حامية . فلنعد الى مخفرينا .

فقال الحارس الشمالي :

ـ اسمع . ما رأيك لو جئت اليك الان : هل تفرجني على الجبل الاحمر ؟

ـ ياه . ألا تخاف مني ؟.. ألا تخاف أن أقبض عليك وأسلمك الى ضابطي ؟

ـ لا . اخاف . ألسنا صديقين ؟ قل لي : هل تخاف انت ؟

ـ أنا . لا . لكن لو كنت عندك ، وجاء ضابطك فجأة ، ألا تتهرب وتقول لضابطك : هذا واحد من اعدائنا ، قبضت عليه وهو يتسلل الحدود ..

ـ ماذا تقول ؟.. انا افعل ذلك معك ، وانت صديقي ؟

وفكر الحارس الجنوبي برهة ، ثم قال :

ـ أعتقد انه لن تكون هناك دوريات مفاجئة علينا . أليس كذلك ؟

ـ أحسب ذلك . الامور هنا هادئة على طول الحدود . فلماذا يقومون بدورياتهم اذن ؟

لكن الحارس الجنوبي راح يحك جلد معصمه وقال :

ـ اريد ان أستحم تحت مياه الشلال . لم أستحم منذ وقت طويل . فالمياه عندنا قليلة جدا .

ـ تريد أن تستحم . طيب . أعتقد أن أمامنا وقتا كافيا بعد الغداء ، لان الشمس كما ترى ، أصبحت في وسط السماء .

ـ سآتي انا اليك اليوم ، بعد الغداء . وغدا ، نذهب الى الجبل الاحمر .

ـ لا مانع لدي . اتفقنا . اسمع . يقولون ان المياه عندكم لها طعم . صحيح هذا ؟

ـ طبعا . كل المياه لها طعم . هل الماء عندكم بدون طعم ؟

ـ الماء الفاسد يكون له طعم . اما عندنا ..

ـ ياه . اريد أن أشرب من مائكم هذا . سآتيك معي بقطعة حشيش . هل تحب الحشيش ؟

ـ لا . أنا لا اتعاطى الحشيش .

ـ ولا أنا . لا اشرب الخمر . اريد ان اشرب من مائكم فقط .

ـ ستشرب حتى تشبع . أعتقد انك ستشتاق اليه دائما . هات معك زمزميتك لتملأها بمائنا .

ـ طيب . فلنذهب الان ، والا شوتنا الشمس .

ـ ستأتي بعد الغداء ؟ اه ؟

ـ طيب . سآتي .

وأدار كل من الحارسين ظهره للاخر ، عائدين .

★

هبطا منحدرا وقفزا . وامتلأ أنف الحارس الجنوبي برائحة اليود المنبعثة من مياه الشلال . كان هديره صخابا في أذنيه . وراح رذاذ الشلال يتناثر على وجهه وزيه العسكري . ووقف ينظر مبهورا بعينيه الواسعتين . وجذبه الحارس الشمالي من يده صائحا :

ـ تعال . انظر .

كانت ارض المجرى بازلتية ، مسننة النتوءات ، والماء يجري فوقها صافيا ، يتكسر بريقه الفضي على طول المجرى ، عاكسا أشعة الشمس . وفي البعيد توارى المجرى بين احراش كثيفة من البوص ، والحشائش وأشجار الزيزفون بزهورها الربيعية الحمراء ، وزهور برية عجيبة الالوان . وراح الحارس الشمالي يرقبه محدقا في عينيه . كانتا صافيتين كعيني طفل .

وانكفأ الحارس الجنوبي على بطنه ، وأخذ يغرف بكفيه من ماء الشلال . وعندما رفع راسه ، صاح بالحارس الشمالي :

ـ الماء هنا ليس له طعم حقا . كم اتمنى أن أشرب منه دائما .

ونظر الحارس الجنوبي الى الشلال وصاح مضيفا :

ـ انظر . يمكن للانسان أن يمر من هنا . من وراء الشلال .

وانعطف خلف الشلال . فصاح الحارس الشمالي :

ـ احذر . اغلق انفك ، والا خنقتك رائحة اليود .

كان صوتهما مرتفعا وسط هدير الشلال . وراح الحارس الشمالي يضحك راضيا ، وهو يرى الحارس الجنوبي يسير خلف الشلال ، قابضا على انفه بأصابع يمناه ، حتى ظهر من الناحية الاخرى . وصاح الحارس الجنوبي :

ـ اريد أن أعيش هنا .

فرد عليه الحارس الشمالي صائحا :

ـ انا سئمت هذا كله . اريد ان اعيش في الجبل .

فهز الحارس الجنوبي رأسه اسفا ، وأشار بيده معبرا عن عدم رضاه . وعاد مرة اخرى وراء الشلال . وطرح مدفعه على ضفة المجرى المقابلة . واخذ يخلع حذاءه ولبدته وزيه العسكري ويرمي بها فوق الرشاش . وجلس الحارس الشمالي يتفرج عبر مياه الشلال على الحارس الجنوبي وهو يقترب بحذر ، وصاح الحارس الشمالي مذعورا :

ـ اغلق فمك وانفك .

لكن صوت الحارس الشمالي ضاع في هدير الشلال . بينما كان الحارس الجنوبي يستقبل المياه برأسه ، وهو يتلوى يمنة ويسرة ، مدلكا كل قطعة في جسده بيديه . وتراجع وراء الشلال ، وأخذ ينفض الماء عن وجهه وصدره بكفيه وأصابعه ، زافرا قطرات الماء المتساقطة من انه وعلى شفتيه . وأرتدى ملابسه الداخلية ، وزيه العسكري وحذاءه ، وعلق مدفعه في كتفه اليمنى ومرق عائدا من وراء الشلال . وجلس بجوار الحارس الشمالي راضيا . ولم ينطق احدهما بحرف ، حتى صاح الحارس الجنوبي ، وهو ينظر الى أرض المجرى :

ـ لو سار الانسان هنا حافي القدمين ، لما بلغ الماء ركبتيه ، لكن قدميه ستمزقهما ارض المجرى .

وضحك الحارس الشمالي وومضت عيناه بسعادة . وصاح فجأة :

ـ أوه . كدت انسى .

ـ مـــاذا ؟

ومد الحارس الشمالي يده ، وفك زرين في سترته العسكريـة ، وغاصت يده خلف السترة عند بطنه وصاح :

ـ هذه .

ـ ايه ؟ ويسكي ؟ لكننا سنسكر ؟

ـ لا . لن نسكر . كنت اسمعهم يقولون : ابناء الجنوب تسكرهـم الخمـرة .

ـ هذا صحيح . لكنني لا اشرب الا نادرا . ثم .. ماذا اقـول لهـم وانا سكران ؟ سيشمون رائحة الخمر في فمي .

ـ لن تكون سكران آنذاك . يكفي أن تلبط وجهك بهذا الماء البارد ، حتى يزول كل شيء .

ـ طيب . هـــات .

وتاول الحارس الجنوبي الزجاجة من يده . وادخل فوهتها فـــي فمه . وراح يجرع دون توقف . فصاح الحارس الشمالي :

ـ ايه . يكفي هذا . وتقول انك لا تشرب الا نادرا ؟

فضحك الحارس الجنوبي وهويعيد الزجاجة اليه . وعاد ينظر الى أرض المجرى ، ويصغي لهدير الشلال ، وبين لحظة وأخرى كانا يتناوبان الشرب من الزجاجة . وصاح الحارس الشمالي :

ـ تعرف . عند الجبل الاجرد حصى ملون .. الاف من الحصـى الملون : ازرق ، واحمر ، وأصفر ، وأخضر .

ـ ياه . لكن لماذا تقول هذا الان . قل لي : هل سكرت يا رفيقي ؟.. هل سكرت ؟

ـ ؟ لا . نصف سكر . اسمع . سملأ جيوبي من هذا الحصـى الملون وآتي به ، وأنثره هنا ، في أرض المجرى .

فصاح الحارس الشمالي :

ـ صحيح ؟.. أتخرف ؟.. أحجار ملونة ؟.. أحجار صغيرة ، كهذه مثـلا ؟

وتناوله حصاة بازلتيه صغيرة بأصابعه ، من شاطىء المجرى ، واراها للحارس الجنوبي . فصاح هـذا :

ـ لا . ليس لونها هكذا . لكنها في نفس الحجم . لا . بل أكبـر قليلا ، كالصدف . تصور منظرها هنا ، تحت ماء صاف ، على أرض من البازلت الاسـود .

ـ ستكون رائعة حقا . هل ستأتي بها ؟

فرغت الزجاجة . فطوح بها الحارس الشمالي في قلب الاحـــراش البعيدة . وطغى صوت الشلال على صوتها وهي تتكسر في ساق شجرة زيزفون . وصاح الحارس الجنوبي :

ـ في المرة القادمة ، سآتي بها معي . اسمع .كم بقي لـــك في الجيش ؟

ـ عام . عام واحـد .

ـ عام فقط . أنا مايزال امامي عامان . ماذا ستفعل عندما تعـود الى اهلـك ؟

ـ أنا . عندنا ارض ، وخيرات كثيرة . اسمع . أتعـــرف التل البازلتي الاسود .؟

وأشار الحارس الشمالي بيده جهة الغرب ، وصاح :

ـ .. هنـــاك ؟

فهز الحارس الجنوبي رأسه ، وصاح :

ـ طبعا . أعرفه . الكلب الاسود يأتي من ورائه . أليس كذلك ؟

ـ هو بعينه . خلف هذا التل ، بعيدا ، توجد قريتنا .

ـ ياه . انك قريب من بيتك هنـا .

ـ النهر يمر قريبا من قريتنا ، وسوف اعود لزراعة أرضنا عندمـا أعود . ماذا ستفعل انت ؟

ـ أنا ؟.. سأجلس في بيتنا ، أنتظر سقوط المطر مع قبيلتـي . قل لي : هل أبوك حي ؟

ـ حي يرزق . لحظة . سأريك صورته .

ودس الحارس الشمالي يده في جيب سترته ، وأخرج الصورة ، وأعطاها لرفيقه . وصاح الحارس الجنوبي ، وهو يتأمل الصورة :

ـ ايه . يا له من رجل . ان شاربه كبير جـدا .

فصاح الحارس الشمالي بفخر :

ـ لو رايته لما نطقت أمامه بحرف .

وصاح الحارس الجنوبي بذات اللهجـة :

ـ ولو رأيت أبي لما جرؤت أن تضع ساقا على ساق في حضرته .

وأضاف الحارس الجنوبي وهو يشير الى الصورة :

ـ اسمع . هذه أمك . وهذه .. اه .. زوجتك ؟

ـ لا . هذه اختي . أنا لم أتزوج بعد . لكنني سأتزوج ابنة عمـي . لو رأيت ابنة عمي لماتزوجتها انت . لكنني أنا سأتزوجها . تصور .

لم يرفع الحارس الجنوبي عينيه عن الصورة . وصاح :

ـ ياه . شعرها طويل جدا . لكنها لا تشبهك .

ـ أنا أشبه أبي . اما هي ، فتشبه خالة لي . واخي الاصغر هذا يشبه امي ، اليس كذلـك ؟

ـ تمـامـــا .

ومالت يد الحارس الجنوبي بالصورة على صدره . وشردت عيناه ، وصـاح :

ـ أتمنى الان ان أتزوج من بلادكم .

فصاح الحارس الشمالي :

ـ انا اريد ان اتزوج من بدوية . قل لي : هل البدويات جميلات ؟ يقولون ان نساءكم جميلات جـدا .

فرد عليه الحارس الجنوبي ، مؤكـدا :

ـ جميلات . ولهن قوام عظيم . ولكنهن لسن جذابات ، مثل هذه .

وأشار الحارس الجنوبي نحو صورة الاخت . وأردف :

ـ أريد أن اتزوج من أختك ، وابني لي بيتا في قريتكم .

ـ ياه . هل تتزوجها ،أختي ؟

ـ يـا ليـت .

وصاح الحارس الشمالي فجأة :

ـ قل لي . هل انت مسلم أم مسيحي ؟

ـ أنا . مع انني بدوي فأنا مسيحي .

فهز الحارس رأسه بأسف . ومط شفتيه ممتعضا . وصاح :

ـ لكن اختي مسلمة . وهم لن يقبلون ان تتزوج أختي من مسيحي . حتى لو قبلوا زواجها ببدوي .

ـ ياه . لا امل اذن .

وأحنى الحارس الجنوبي راسه بين كتفيه ، وشبك يديه على ركبتيه .

وسكت . ثم صـاح :

ـ سأروي لك سرا . كانت لي أخت . كانت تحب شابا يعمل مدرسا. وكان مسيحيا مثلها . وتقدم هو ليتزوج بها . لكن قبيلتي رفضـت تزويجه بها . أتعرف السبب . كان الشاب من قبيلة أقل شرفـا من قبيلتنـا .

فصاح الحارس الشمالي :

ـ ياه . ماذا فعلت أختك ؟

ـ لا شيء . قطعت شرايين يدها بصخرة مسننة . وماتت . كانت جميلة ، وأحبته خمس سنوات .

وتنهد الحارسان . وهزا رأسيهما بأسف . وراحا يتأملان المجرى ، وينصتان لهدير المياه ويراقبان رشاش الماء . وهو يتناثر على ضفتـي المجرى . وفي الاعالي ، مرق سرب من الطائرات ، قادما من الجنوب . ولم يسمع اي من الحارسين ازيزها ، وهي تعبر فوق رؤوسهما ، وصـاح الحارس الشمالي :

ـ طيب . لو جئت انا الى بيتك . هل يسمح أهلك أن أكون واحـدا منهـم .

ـ لا .. ستكون ضيفا دائمـا .

ـ ضيفا ؟.. ضيفا فقط ؟

ـ ضيفا فقط . الناس عندنا يعيشون في قبائل . لكي تكون مـن أهل بلادنا ، ستقيم في بيتنا تسعمائة عام . اما قبل ذلك ، فستظل ضيفا، غريبـا دائمـا .

ـ ياه . آنذاك أكون قد مت . هيه .

وأردف الحارس الشمالي حالمـا :

ـ كنت اود أن اتزوج من بدوية ، جميلة ، محبة ، هادئة كالحمامة ، تقبل أن تقتل نفسها من اجلي ، تقبل أن تتزوجني .

ـ على اي حال ، لن تجد بدوية واحدة تقبلك زوجا .

ـ لمـاذا ؟... هل أنـا ..

ـ انت لست من قبيلة بدوية ، يناطح شرفها شرف قبيلتها .

وصمت الحارسان وصاح الحارس الجنوبي :

ـ أتعرف فيم أفكر الان ؟

وضرب الحارس الجنوبي الهواء بيده . وصاح :

ـ اوه . لقد طارت الفكرة من رأسي .. ولكنني سأضرب لك مثـلا عليها : أنا وانت وكلانا من بلد . ومع ذلك نحن صديقان . وانت تحـب الحياة في بلادي ، وأنا احب الحياة في بلادك .

فصاح الحارس الشمالي :

ـ اه . أنا أفهمك . لكن المسألة في راسي مختلفة . ساقول لـك : قريتك التي قتلت نفسها هذه . لماذا فعلت ذلك ؟.. هيه . ان رأسي يعمل الان بسرعة . سأقول لك مثلا اخر :انا مثلا لا استطيع ان اقابـل موظفا كبيرا في احدى مدننا ، وأتكلم معه ببساطة . لماذا ؟

وصاح الحارس الجنوبي :

ـ ياه . ان لك أفكارا نظيفة . أنا أفهم ما قلت تماما . لكنني أحسه هنا في صدري . ربما كان ذلك ، لانك تقرأ الجرائد ، وأنا لا أقرأها .

وعاد الحارسان الى الصمت . لم يعد احدهما ينظر الى وجه الاخر. وراحا يفكران ، أنهما من بلدين ، ومع ذلك ها هما صديقان يجلسـان على شاطىء واحد ، ويسمعان اصواتا واحدة : زقزقة العصافير فـوق أشجار الزيزفون ، وهدير الشلال ، واجنحة الفراش الملونة .

وضحك الحارس وصاح :

ـ كانت فكـرة جهنمية .

فصاح الحارس الشمالي :

ـ أي فكـرة تقصد ؟

ـ لوح الخشب الذي جئت به ، ووضعته على القائمين الخشبيين فوق الاسلاك . لولاه لما استطعت أن أعبر كل هذه الاسـلاك . انهـا عريضة جـدا .

ـ لو قفز الانسان فوقها ، كما قلت انت ، لسقط في قلبها .

ـ طيب . كيف ساعود الى مخفري الان ؟

ـ باللوح نفسه .

ـ اعرف . لكن . هل تساعدني حتى اقف على اللوح الخشبي مرة اخرى ، وأصل الى الصخرة .

ـ بلا شك . ساجلس أنا ،وتقف أنت على كتفي ، وأظل اصعد بك ، حتى تصل الى لوح الخشـب .

ـ ياه . اقف على كتفيك . يا له من عيب !

ـ عيب ؟.. اي عيبفي هذا ؟.. ألسنا صديقين ؟

ـ طبعـا .

ـ لا تفكر في هذا اذن .

وفتح الحارس الجنوبي فمه ليتكلم . لكنهما سمعا معا :

ـ اي .. اي .. اي .

* *

نظرا معا جهة الصوت . كان هناك جندي شمالي يقف أعلى الهضبة ، ومدفعه الرشاش مصوب في يديه اليهما . ومد الحارس الجنوبي يسراه وتناول مدفعه عن كتفه ، واسرع الحارس الشمالي يحني فوهة المدفع تجاه المجرى ، وصاح به :

ـ احذر . سيقتلنا معا . انتظر . سأتفاهم معـه .

وأسرع الحارس الشمالي يتسلق الصخرة ، ويصعد المنحدر ، حتى وقف امام الجندي وراح الحارس الجنوبي يرقب حركة ايديهما وهما يتفاهمان . كان المدفع في يدي الجندي ما يزال مصوبا اليه . وبعـد دقائق ، التفت الحارس الشمالي نحوه ، واشار له بيده ليتبعه ورآهما يديران ظهريهما اليه ، وينحدران من اعلى الهضبة . وقام الحـارس الجنوبي وتسلق الصخرة وصعد في المنحـدر . واذ صار في اعلى الهضبة ، اشار له الحارس الشمالي بكفه من اسفل الهضبة . فكمـن خلف شجرة . ورآهما يشقان الرمال والتلال ، حتى غابا عن ناظريـه تجاه المخفـر . وسمع الحارس الجنوبي محرك السيـارة الشمالي وشاهدها تمرق عائدة جهة الغرب . وعندما غابت عن ناظريه ، أسـرع ينحدر من الهضبة عابرا التلال والرمال . كان الحارس الشمالي واقفـا ينتظر . وقال له الحارس الجنوبي :

ـ ايه . ماذا حدث ؟

فقال الحارس الشمالي :

ـ طائراتكم حلقت في سماء بلادنا . مرت من فوق رؤسنا دون ان نسمعها . هكذا قال لي الجندي .

ـ ياه !

قال ذلك الحارس الجنوبي ، وصـاح :

ـ مـاذا فعلت مع الجندي ؟

فقال الحارس الشمالي وهو يدخل المخفر :

ـ رجوته ان يكتم الخبر عن فرقتي .

صاح الحارس الجنوبي :

ـ والسائق . هل عرف ؟

وجاءه صوت الحارس الشمالي من داخل المخفر :

ـ لا . لم يعرف شيئا .

وبرز الحارس الشمالي ، وفي يده لوح خشبي طويل ، فقال الحارس الجنوبي :

ـ عرفني الجندي ؟

ـ طبعا . عرف انك من جيش الجنوب . يكفي ان ينظر الى راسك ليعرف انك لست منـا .

وسار الحارس الشمالي دائرا حول المخفر ، تجاه الاسلاك ، فتبعـه الحارس الجنوبي وهو يقول بضيق :

ـ طيب لماذا جاء في هذه الساعـة ؟

ـ جاء ليبلغني امر القيادة ، ان اضرب النار فورا ، عند ادنى محاولة للتسلل ، او للاستفزاز .

فصـاح الحارس الجنوبي :

ـ ياه . الى هذا الحد . كان بمقدور الجندي ان يقتلنا . لقد خفت ساعتها ان تستدير مع الجندي ، وانتما في اعلى الهضبة ، وتضرباني بالرصـاص .

كان الحارس الشمالي قد وضع اللوح على القائمين الخشبيين فوق الاسلاك ، فالتفت نحوه بسرعة ، وصاح :

ـ انا اضربك . عيب ان تقول ذلك مرة اخرى .

فقال الحارس الجنوبي برقة :

ـ طيب . لا تغضب . هل تعتقد انه لم يتحدث في الامر ؟

فقال الحارس الشمالي :

ـ بل اعتقد انه سيفعل . لكن اسرع . المهم أن تنجو الان .

وقال الحارس الجنوبي :

ـ ألم أقل لك ؟.. هل كان ينبغي ان نعبر الحدود ؟

ولم يجاوبه الحارس الشمالي . كان قد اقعـــى ممسكا بالقائـم الخشبي . فصعد الحارس الجنوبي فوق كتفيه وسار فوق اللوح . وقفز فوق الصخرة ، ومنها الى الارض . ثم وقف قبالته قائلا والاسلاك بينهمـا :

ـ لم يأت احد الى مخفري انا . لكن . ماذا ستفعل انت ؟ هل سيحاكمونك ؟

فقال الحارس الشمالي :

ـ لو جاءوا قبل الغروب بحارس بديل ، سيعدمونني في النهاية رميا بالرصاص بتهمة الاتصال بالعدو .

ـ عدو ؟.. اي عدو ؟..

ـ انـت !

فصاح الحارس الجنوبي مكتئبا :

ـ اسمع . ما رأيك أن تأتي الي الان . سنهرب في الجبال ، فـلا يطولنا احـد .

ـ لكن أحدا لم يرك انت معي . فلماذا تهرب وتجعلهم يطولونك ؟

ـ طيب ، اخذ انا اجازة ، واسلمك لابي . سيحميك ابي ، لان احدا لن يعرف ابدا من انت ،ولا من اين جئت ؟

فقال الحارس الشمالي :

ـ طيب . لو شاهدت عربة قادمة قبل الغروب ، ساسرع بالهـرب اليك ، واختبيء في الجبل الاحمر ، حتى تأخذ اجازة .

وجر الحارس الشمالي اليه اللوح الخشبي ، ووضعه تحت ساعده ، فقال الحارس الجنوبي :

ـ طيب اتفقنا . اذهب الى مخفرك . وساذهب الى مخفري .

واستدار الحارسان عائدين ، ودارا حول مخفريهما . وجفل الحارس الجنوبي فجأة . كان مدفع رشاش مصوبا الى صدره . وكانت العربـة واقفة امام باب المخفر . وكان الضابط متكئا على نافذتها . وفي ذات اللحظة ، كان الحارس الشمالي يقول لنفسه ، وهو يدخل مخفره :

« سأحادثه من كوة المخفر » .

وصاح الضابط بالحارس الجنوبي :

ـ تقـــدم .

كان وجه الحارس الجنوبي مصفرا كالرمال . واستجاب لاشارة من فوهة المدفع في يد الضابط ، فصعد الدرجتين الخشبيتين . كان في المخفر اربعة جنود . وقال الضابط للحارس الجنوبي :

ـ سلم سلاحك .

كان الحارس الشمالي جاثما خلف كوة المخفر . ورآهم جميعا يحيطون بالحارس الجنوبي ، ورآه يسلم سلاحه ، ويأخذه منه جندي . فقـال لنفسه :

« لولا انه معهم ، لصدتهم جميعا . لقد وقع في الشرك »

وعلق الضابط مدفعه الرشاش في كتفه . وقال للحارس الجنوبي :

ـ كلكم هكذا . تتحادثون مع جنود الاعداء ، عندما يدير الانسـان ظهـره .

فقال الحارس الجنوبي :

ـ انا لم اقل له شيئا .

وقـال الضابط :

ـ ما يكاد الواحد منا يثق باحدكم ، ويعتمد عليه وحده ، في مخفر من مخافر الحدود ، حتى يسرع بالتعرف على اعدائنا .

فقال الحارس الجنوبي :

ـ تصادقنا فقط . وبدأت صداقتنا .

فصاح الضابط محتدا :

ـ انا اعرف كيف تصادقتما . بدأ الامر بسيجارة ، ثم ثرثرة فارغـة لا تليق بشرف جندي في سلاح الحـدود .

وقال الحارس الشمالي لنفسه :

« سيأخذونه . ويرمونه بالرصاص » .

واضاف الضابط قائلا للحارس الجنوبي :

ـ لكن . اخبرني . هل انت عبيط ؟

فقال الحارس الجنوبي :

ـ لماذا يا سيدي الضابط ؟

فقال الضابط ، ويداه لاتكفان عن الحركة :

ـ كيف جرؤت على ان تعبر الحدود الى ارضهم ، وتسلم رقبتـــك اليهم ؟ انت تعرف ان العلاقات مقطوعة بيننا وبينهم ، فكيف عبـرت الحدود اذن ؟

وسكت الضابط ، لكن الحارس الجنوبي لم يقل شيئا . فـأردف الضابط :

ـ هناك واحد من اثنين سيواجهك به المدعي العسكري : ان تكون جاسوسا بيننا للعدو ، او تكون غير حريص على شرف بلادك ، اذ اتصلت باحد اعدائنا اثناء الخدمة العسكرية . وفي الحالين ، ستكون خائنا ، وترمى بالرصاص .

فتح الحارس الجنوبي فمه . لكن الضابط اشار اليه بالسكوت ، قائلا له :

ـ اسكت الان . ستتكلم في المحكمة كما تشاء . ولكنك سترمى بالرصاص في النهاية :

وقال الضابط لجنوده :

ـ هيا بنا .

ودار الضابط حول نفسه ، وعبر باب المخفر . وتبعه جندي ، ثم الحارس الجنوبي ، وخلفه كان جنديان يصوبان مدفعيهما الى ظهره . واذ اصبحوا جميعا في العربة ، قال الضابط للحارس الجنوبي :

ـ فكرت ان اقتلك وانت تعبر الاسلاك بحيلتكما الفذة التافهة . لكن الحارس الاخر يبدو احمق مثلك . لذلك خشيت ان يطلق الرصاص ، ويكون صدام مسلح ، على طول الجبهة .

وسمع الحارس الشمالي محرك العربية الجنوبية ، وهي تدور حول نفسها . فقال لنفسه :

« لا بد ان يهرب صديقي . سوف ألحق به » .

واسرع الحارس الشمالي يختبيء خلف المخفر ، عند الزاوية الشرقية الشمالية . وشاهد العربة الجنوبية تتجه نحو الشرق ، فصوب مدفعه الرشاش ، واطلق النار على عجلات السيارة . فانحرفت العربة قليلا . ثم توقفت وللفور ، انهمر الرصاص من مدفع الحارس البديل في المخفر الجنوبي . فانبطح الحارس الشمالي على وجهه ، وخادع الحارس البديل ثم صاده . كان من في العربة قد اختفوا تماما عن عينيه . وأز الرصاص . وتدفق فوق راسه . وراحت الاسلاك تتقصف مع طلقات الرصاص . وقال الحارس الشمالي لنفسه :

« انهم ينتظرون النجدة . سوف تاتيهم على اصوات الرصاص » .

وكفت طلقات الرصاص على الحارس الشمالي . فقال لنفسه :

« انهم الان ينتظرون الفرصة لقتلي » .

وقال الضابط للحارس الجنوبي :

ـ خذ هذا مدفعك . عليك انت ان تصطاده . هذه فرصتك لتنجو . ربما افرجوا عنك ولم يسجنوك . وربما اكتفوا بسجنك . اقتله لنا .

قبض الحارس الجنوبي على مدفعه . وقال للضابط .

ـ سوف اصيده لكم .

وتسلل الى مقدمة السيارة . وجثم عندها . ولمح راس الحارس الشمالي منبطحة على الارض . وفكر :

« بوسعي ان اقتله الان » .

لكنه قال لنفسه :

« لقد عطل العربة . وقتل الحارس البديل . لينقذني انا .. »

استدار الحارس الجنوبي بسرعة نحو الضابط والجنود ، واطلق دفعات متتالية من رشاشه . وصاح بالحارس الشمالي :

ـ اي .. اي .. لقد قتلتهم لك .

وراح الحارس الجنوبي يعدو وجهة مخفره . كان الحارس البديل ملقى على ظهره ، مفتوح الذراعين والساقين . ووقف الحارس الشمالي ، واسرع نحو الاسلاك قائلا :

ـ لم لم تهرب . بدلا من قتلهم هكذا ؟

فقال الحارس الجنوبي :

ـ لم تكن هناك فرصة واحدة . اعطوني مدفعي لاصطيادك . فقتلتهم كانوا يساومونني لانجو من الاعدام .

ـ لو قتلتني لصرت بطلا . وربما اعطوك وساما . ولكنك الان قاتل .

ـ في هذه الحالة ، افضل ان اكون قاتلا على ان اكون بطلا .

وقال الحارس الشمالي :

ـ سيأتون الان على اصوات الرصاص من بلادك وبلادي .

وصاح الحارس الجنوبي :

ـ اتسمع ؟... أنظر .

كانت هناك مصفحات وسيارات مدرعة ، تقبل من الشرق والغرب ، من الشمال والجنوب ، وقال الحارس الجنوبي :

ـ الان . اصبحنا محاصرين . ولا نجاة لنا .

فقال الحارس الشمالي :

ـ اسرع بالذهاب الى مخفرك . قل لهم انني انا الذي قتلتهم ، وانك وحدك الذي نجوت .

فقال الحارس الجنوبي :

ـ النتيجة واحدة . سيرمونني بالرصاص ، لانني حادثتك ، وعبرت الحدود . انا اعرف ان فرقتي تعلم الان ذلك . واذا عرفوا حقيقة ما حدث هنا ، فسوف يقتلونني عدة مرات .

واضاف الحارس الجنوبي :

ـ انج انت . اذهب الى مخفرك ، فلا احد يعلم عنك شيئا .

ـ أنجو ؟... انظر .. انهم الان يقتربون جدا . وهناك مناظير مكبرة رأونا بها الان معا . لا نجاة لنا . اعتقد انه ينبغي ان نسلم انفسنا ، ونتنظر موتنا ، او ...

ـ او ؟

ـ نقتل انفسنا .

ـ نقتل انفسنا ؟

ـ ذلك ما يجب ان نفعله الان . لا حياة لنا في بلادنا او بلادك . لا حياة لنا ابدا .

فقال الحارس الجنوبي :

ـ لدي فكرة . ارفع مدفعك وصوبه الى صدري . سيقتل كل منا الاخر . اسرع قبل ان يقبلوا .

ـ اطلق كل ما يمكنك من الرصاص في صدري .

ـ طيب . سأعد : واحد اثنين . ثلاثة . وتطلق .

ـ طيب .

حدق الحارسان لحظة ، في الشمس ، والسحاب ، والضوء والظلال . ورفع كل من الحارسين مدفعه . وصوبه الى صدر الاخر . وقال الحارس الجنوبي :

ـ واحد . اثنان . ثلاثة .

وراحت الاسلاك تتقصف .

(القاهرة) سليمان فياض